رواية
حين تكلم الموت

أماني سليمان

إهداء

إلى تلك الأرواح المتعبة المنهكة من كثرة التفكير

إلى كل من يحاول الصمود في هذه الحياة

إلى كل من مرّ بظروف صعبة

مشابهة لظروف معيشتنا

عزيزي القارئ

اتمنى أن تتحلى بالصبر أثناء القراءة

لأنني أشرح جزء بسيط جداً

من واقع تعيشه معظم البلدان العربية

تنويه

(إن الأحداث خيالية لا تمت للواقع بصلة)

بينما كنت وحيدة نجحت الكآبة بالإحاطة بي من كل ناحية أصبحت أبكي كل شيء و أي شيء

أبكي شعري الذي أكتسحه الشيب و لم يبقي منه خصلة لتذكرني بلونه الطبيعي و أنا في عز شبابي كل شيبة منه تروي قصتها حيث أن جيلنا لم يرى في حياته سوى الدمار و الخوف و القلق و التوتر و الترقب لما سيحدث

إن حدث و ذهبت للسوق ابقى خائفة نحن في بلد تعمه الفوضى

فجأة يبدأ الاشتباك لا تعرف من مع من و لا من ضد من لا أرى سوى الخوف في أعين الناس الذي يعكس خوفي أيضاً

تعلمنا الجري كي نفر هاربين و نتفادى الرصاص الطائش و مع ذلك لا أحد يستطيع الهروب من قدره فالبعض مصابين و غيرهم فارقوا الحياة دون أن يعلموا لماذا أو ما ذنبهم

من قال أننا سنعتاد ؟

لا أحد يستطيع اعتياد مشاهد القتل و الدم و الصراخ و الخوف

نفرض حظر تجوال من أنفسنا

فلا ترى طير طائر أو حتى حيوان في شوارع المدينة

تصبح أشبه بمدينة أشباح و كأنها خالية من البشر حيث أن الجميع بما فيهم الأطفال تعلموا قطع أنفاسهم فلا نسمع سوى صوت سيارة من سرعتها لا نراها بل نزداد خوفاً

و ما يزيد الطين بلة هو عتمة الليل الحالكة حيث أنني مللت انقطاع الكهرباء المستمر بسبب تحكم التجار كي يشترك الناس في المولد الكهربائي حيث أنهم وضعوا في كل حي مولد كهربائي يغذي الحي بالكهرباء لكل منزل نصيب من الأمبيرات على حسب وضعه حيث

أن الأمبير الواحد ثمنه غالي فكيف لرب المنزل أن يستطيع تأمين عدد كافي من الأمبيرات لمنزله ؟

هذا عدا الاشتراك الذي يجب دفعه في بادئ الأمر

لم أعرف ما هذا الاشتراك ثم فهمت أنه احتيال من نوع جديد و ما أكثر المحتالين في بلدي

للأسف أهل الحي يُجبرون على دفعه رغم أنفهم علماً أن الأمبيرات لا تدوم سوى لبضع ساعات في اليوم فهي لا تقي من سواد الليل الحالك و لا من برد الشتاء القارس و لا حتى حرّ الصيف الشديد

هذا عدا انقطاع الماء المدروس

كي نشتري الماء من الصهريج للاستخدام فقط فهو غير صالح للشرب لذا يجب علينا شراء ماء الشرب أيضاً

حتى أننا نفتقد للغاز المنزلي عدنا للعصور القديمة نشعل الحطب للطهي الطعام

هذا كله عدا غلاء الأسعار المبالغ فيه حيث أن الدولار في صعود مستمر أمام العملة المحلية

لقد حُرمنا من شراء الكثير من احتياجاتنا إن صح القول نحن في حالة تقشف منذ زمن بعيد ولا نعلم إلى متى ؟

متى ستزول الغمّة ؟

متى نسترد حقنا في العيش كريم ؟

من أين لنا توفير المال لكل هذا النهب و النصب و الاحتيال

فرص العمل تكاد تكون معدومة و إن وجدت لا تكفي للطعام أسبوع واحد فقط

ثم ابكي حالي مرة أخرى بسبب الوحدة ما من أصدقاء في البلد جميعهم نجوا بأنفسهم من هذه الظروف الغير آدميّة

ليجدوا أنفسهم غرقوا في بحور الغربة التي لا تطاق ولا تضمن لهم الكرامة حيث أن الغرب يستعبد الانسان لقاء لقمة عيشه

رواتبهم أغلبها ضرائب و فواتير

لا أنكر مللت مواقع التواصل الاجتماعي أحتاج أصدقائي بقربي

تارة يخطر ببالي أن أذهب و أحتسي القهوة مع إحدى صديقاتي لكن يصدمني الواقع بالوحدة مجدداً

نحن جيل فقد كل شيء فقد الحرية فقد الكرامة فقد الأمل فقد حتى حق الحياة معظمهم انتهت حياتهم

يا لتعاسة ما تبقى من هذا الجيل

مللت العيش فأبسط مقومات العيش منهوبة لا نملك سوى الدعاء في زمن غاب فيه الضمير

حتى المساعدات الدولية لا تصل للمحتاجين فهناك شبكة نهب ممنهجة تسرق المساعدات و تبيعها في الاسواق

حتى أجار البيوت في تصاعد مستمر إلى أن امتلأت المدارس بالنازحين بعد أن أصبحت مراكز إيواء

لم نعد نرى الفئة المتوسطة في بلدنا إما الغنى الفاحش أو الفقر الشديد

و الذي يحزن أكثر هو التعليم هناك جيل كامل دون تعليم فقد حقه في الذهاب للمدرسة بسبب الحروب و الرسوم المرتفعة بعد أن كان التعليم بالمجان في بلادنا

كم من تفجير استهدف المدارس و راح ضحيته أطفال من اعمار مختلفة ليجبر الآباء على الخوف و يمنعوا أطفالهم من دخول المدرسة مجدداً

لم يعد هناك قيمة للعلم خريجين الجامعات علقوا شهاداتهم على الجدران و أي فرصة عمل يحظوا بها حتى وإن لا تكن ضمن مجال اختصاصهم لا يفوتوها

مرّ عامان و أنا أبحث عن عمل رغم شهاداتي و خبراتي المتنوعة في عدة مجالات لكنى لم أجد

أريد العمل كي أحسن من دخلي الشهري و أملأ وقت فراغي هرباً من التفكير الذي يلاحقني علّ حالتي النفسية تتحسن قليلاً و حالتي الجسدية أيضاً عاداتي سيئة لا وقت للنوم و لا وقت للطعام

فوضى في كل شيء السهر دمر جسدي و سرق نضارة بشرتي

أحاول جاهدة العثور على عمل كي ألتزم به و أنام الليل و تترتب

فوضى حياتي

قد أكوّن صداقات جديدة لكن المشكلة انني لا استطيع العمل في أي

مكان أو مع أي شخص

حيث أن معظمهم لبسوا ثوب الوقاحة و قلة الحياء يتحرشون

بالفتيات مستغلين احتياجهم للعمل

في أحد الأيام بينما كنت جالسة سمعت صوت اشعار من تطبيق الوتس اب من شخص أعرفه

شخص من أنبل من قابلت في حياتي حيث أنه لا يزال محافظاً على قيمه و أخلاقه و ضميره الحي

كان محتوى الرسالة أنه أرسل رقم جوالي لشخص يبحث عن فني مخبر في أحدى المستشفيات و يعلمني بأن هذا الشخص جيد و أنها فرصة ممتازة و ينصحني أن لا أضيعها

بالفعل راسلني ذاك الشخص و اتفقنا على موعد للمقابلة و تمت الموافقة من كلينا و بدأت العمل معه في مخبر التحاليل الطبية رغم طول ساعات العمل و رغم التعب إلا أنني شعرت بتحسن في حالتي الجسدية و النفسية فقد كان أخ لي و ما زاد انبهاري و أثلج صدري أن أغلب الشباب و البنات زملائي لا يفوتون فرض صلاة

بعد شهر فقط دقت طبول الحرب مجدداً بدأ الشباب يتساقطون كأوراق الشجر في فصل الخريف و بحكم قرب منزلي من المشفى أنا الوحيدة التي استطعت الذهاب للعمل من بين خمسة اشخاص زملائي و سادسهم كان المسؤول عن المخبر

بدأنا العمل على الفور و أي عمل مجهد هذا الذي بدأناه لم ينتهي حتى أننا لا نستطيع اخذ قسطاً من الراحة أو أكل أي شيء يسد الرمق و يقوي اجسادنا التي كادت أن تهوي

كان زميلي يسحب الدم و أنا احدد الزمرة المطلوبة لنقل وحدات دم للمصابين و تحليل دم المتبرع لنتأكد أن الزمرة ذاتها و أنه ملائم و خالي من أمراض الكبد و غيرها

حتى أننا كنا نواجه مشكلة التبرع بالدم حيث أن الطرقات كانت مقطوعة و الناس يلزمون بيوتهم من شدة الخوف

المصابين كثر سواء من عامة الشعب الذين أصابهم الرصاص الطائش أثناء بحثهم عن طعام لعيالهم أو من الجنود

المضحك المبكي أن سريرين متجاورين يحملان جسدين لجنديين أعداء لكن للأسف هم أبناء البلد ذاته

يحدث أن يكونوا أصدقاء لكن كل منهم ذهب في اتجاه سياسي مختلف بحثاً عن دخل شهري جيد من أجل إطعام أولادهم

هذه عادة الحروب تديرها جهات خفيّة و يدفع الأبرياء أرواحهم ثمناً للقمة عيشهم لا ناقة لهم و لا جمل في حرب خاسرة مثل هذه لكن في نهاية المطاف الحرب لا ترحم أحداً

لا تميّز بين كبير أو صغير نساء أو رجال شيوخ أو أطفال و لا حتى مريض ينجى من لهيبها المستعر

في الحرب الكل سواسي لا ينجو منها عربي أو كردي سني أو شيعي مسلم أو مسيحي

فالحرب بين أبناء البلد الواحد من أصعب الحروب لأن الحقد يتمكن من القلوب فتصبح حالكة السواد

للأسف هذا الحقد يبقى و يتوارث جيل يسلمه لجيل لذا تمتد لسنوات طويلة جداً

كنت متوترة جداً أشعر بمسؤولية كبيرة أضع كل جهدي في التركيز على عملي حياة الناس باتت في يدي بعد أن نجوا من الحرب و رصاصها قد يقتلهم خطأ طبي غير مقصود

إما بنقل وحدة دم (كيس دم) لا تحمل الزمرة ذاتها أو كتابة زمرة مختلفة بسبب ضغط العمل فنحن نصارع الزمن قبل أن تنتهي حياة المريض بسبب النزف

التركيز أجهدني جداً أصبحت الرؤية ضبابية و أشعر أن المكان يدور بي لكني أستعنت بالله و أكملت عملي

بعد عدة أيام هدأت الحرب لكنها لم تنتهي هدأت لتعطينا فرصة للراحة أو النوم فرصة لنأكل و نشرب كي نستعيد تركيزنا

لا أنكر كان الماء أمامي أنظر إليه بحسرة أخاف أن أضيع الوقت في شرب الماء فتنتهي حياة مريض عندها سأجلد نفسي ما حييت على تقصيري و إن لم يكن تقصير

اجتمع الجميع أطباء و ممرضين مسعفين و غيرهم الكل منهك لكننا لا نجد سرير واحد لنستلقي قليلاً عدت إلى مخبر التحاليل و عندما انتهيت من العمل على أخر عينة دم رفعت رأسي و نظرت للحظة لم استوعب ما أرى قلت لنفسي بصوت خافت و صدمة واضحة أرواح ؟

ثم حدثت نفسي لا إنني أتهيأ لكن شيء ما بداخلي دفعني كي اتحقق مما أراه حيث أنها كانت أشبه بالخيال شفافة أستطيع رؤية الجدار خلفها من خلالها

مشيت بخطوات متباطئة خطوة للأمام و أخرى للوراء لكني أكملت طريقي و دخلت لأقرب غرفة رأيت الأجساد مستلقية على السرائر و الأرواح بجانبها ذهلت فأغمضت عيناي قليلاً و فتحتها مجدداً

لم يتغير شيء لا زلت أراهم بدأت الأفكار تطرق باب عقلي قبل أن يفتح لها تكلمت معي أحد الأرواح

كانت الروح لجندي شاب في العشرين من عمره كما تبدو هيئة الجسد الملقى على السرير كنت أقف عند قدميه و رأسه أمامي مغمض العينين لكن روحه أيضاً أمامي نظرت لها التقت العيون هنا أدركت الروح أنني سمعتها أكملت أريد أن أعطيكِ رسالة فقلت نعم

عندها نظرت لي كل الأرواح كانت عشر أروح في الغرفة و زميلي عندما شاهد حالتي التي كنت أمشي بها تبعني و وقف بجانبي و هو يراني أنظر إلى لا شيء احدق في الجدار كما يظن و اتكلم معه

- أكملت روح الشاب حديثها و قال لي يريد أن يدفن في مدافن عائلته إن لم ينجو من الموت المتربص به ثم عرّف عن نفسه و أسم عائلته دون تفكير أخذت ورقة و قلم كتبت ما قاله كي لا أنسى حيث أن أسمه مختلف عن الاسم الذي لدينا لأنهم يلقبون الجنود بأسماء حركية و هذا ما سجلناه في سجلاتنا أما الآن فهو يعطيني أسمه الحقيقي و قال أيضاً أن الجميع سينساه و لن يحزن و يبكي عليه أحد إن مات ذلك لأن أمه توفيت منذ سنة لذا يريد أن يدفن بجانب أمه

دونت كل شيء حتى العنوان لأرسل لوالده و أخبره بوصية أبنه و أنا أشعر أنه طفل صغير يريد رؤية أمه لا أشعر أنه جندي

جسده في الدنيا و روحه عالقة في عالم موازي و أمه في عالم آخر ما أبعد المسافات بينهما

- عندها نادتني روح أخرى أبعد ما تكون عني اقتربت منها كانت لشاب شعره شاب من أهوال الحرب و أراد أن يعطيني رسالة أيضاً هنا خطر لي أن أرقمهم فكتبت بجانب اسم الأول رقم واحد و على يده ذات الرقم و عدت للثاني و فعلت الشيء ذاته قال لي الثاني أن حبيبته تنتظره و هو يحاول أن يقاوم الموت من أجلها لكن إن غلبه الموت يريد أن تعرف أنه يحبها بصدق و هي الحب الأول و الوحيد في حياته لم يخونها قط

كل أمنيته في الحياة أن يجتمعا تحت سقف واحد و وصيته لها أن تسمي أبنها باسمه إن تزوجت دونت كل شيء قاله

- بعدها ذهبت لروح ثالثة كانت لزوج يريد أن تسامحه زوجته على ظلمه لها مرات و مرات أصعبها حين سرق ذهبها ليتزوج من امرأة أخرى لكن القدر ساقه للحرب قبل أن يتزوج مرة ثانية و هو نادم جداً على فعلته
- أما الرابع كان يافع عمر في السابعة عشر قال لا ذنب له في شيء كان يمشي ذاهباً لدرسه أصابته رصاصة طائشة و هو يعرف أنه لن ينجو من الموت لذا يريد أن أخبر أمه التي كانت تهتم لدروسه أكثر من اهتمامها لحياته أن تستريح فقد ذهب أبنها شهيداً للعلم
- أما الخامس قال أنه لا يعرف كيف يبدأ فهو يحاول أخذ حقه بيده لأنه أعتبر أن ابنة عمه من حقه و والدها أبى أن يزوجها

له رغم موافقتها لذا أغراها بمعسول الكلام و استدرجها إلى أن اختلى بها ليضمن أنها ستصبح ملكه رغماً عن أنف أبيها و لم يكن يحسب حساب يوم كهذا يتركها تواجه الفضيحة لوحدها بعد أن يكتشفوا أنها ليست بكر و هو لم يشأ أن يفضحها و يتخلى عنها كل ما أراده أن يحصل على حقه من وجهة نظره و يرغم عمه على الموافقة لذا لا يعلم كيف يعتذر لها على الوضع الذي وضعها به لأنه لن يستطع حمايتها من والدها إن فارق الحياة كان يريد أن يكون رجلاً لها تحتمي به لكنه وضعها في مصيبة

- أما السادس فهو يعترف بأنه يستحق الموت ربه أكرمه كثيراً و هو واثق أنه سينجو من الموت لأنه ظالم و محتال و مثله لا يستحق الشهادة و دخول الجنة فهو احتال على أقرب الناس له

و نصب على أخيه حين زور وصية ابيه أخذ الميراث و حرم أخاه لكنه إن لم ينجو من الموت سيعود الحق لأصحابه

مثله مثل البقية زودني باسمه و عنوانه لاعتذر من أخيه

أما السابعة كانت فتاة و الثامن و التاسع لا تقف أرواحهم بجانبهم كانوا صغاراً جداً واضح أنهم ليسوا جنود على ما يبدو أنهم طلاب و الغريب لا أرى نزيف أو ضمادة حينها قال الرابع أنهم زملاؤه في المدرسة و سكت

قبل أن أفكر في السبب رأيت آخر روح في الغرفة تشير لي أن أقترب منها

- ذهبت تجاهه أخبرني أنه يريد أن يعلمني الكثير لكن دون أن أكتبه يجب أن احفظ الكلام فهو خطير جداً عقدت حاجبي فأكمل أسرار حربية لذا لا أريدها أن تُكتب و تقع بيد أحد

يجب أن أنقلها شفهياً لشخص و إن استشهد أبحث عن شخص ثاني أعطاني اسمه دونت الاسمان لكن بأبجدية كنت قد اخترعتها بنفسي في بداية شبابي لأكتب ما أشاء دون أن يعرف أحد كيف يقرأها تعجب من ابجديتي و قال ما هذه الشيفرة على أية حال لا تهم لكنها تنفع أكمل حديثه و أنا أدون كل ما يقوله عندما انتهيت أعطاني أرقام هواتف الشخصين يحفظهما عن ظهر غيب

رفعت رأسي عن الورقة و نظرت لهم جميعاً و كأن ما يقال لم يكن يسمعه أحد غيري تيقنت هم فقط استطاعوا أن يرونا نتكلم دون أن يسمع أحدهم ما كان يقوله الآخر

جلت بنظري إلى أن عدت للتفكير هؤلاء الذين لا تقف أرواحهم بجانبهم عندها خمنت انهم قد فارقوا الحياة استرت لأخرج رأيت

زميلي لا يزال يقف مكانه و قد نالت منه الصدمة خوفاً على حالي فهو يعتقد أنني جننت من هول ما رأيت دم وأعضاء خارجة من الجسد و أجساد ترتعش و أخرى تفارق الحياة فور وصولها

ابتسمت له و قلت هيا بنا نخرج تبعني دون أن ينطق ببنت شفه و عندما وصلنا إلى الباب رأيت مخلوقات غريبة لا هي بشر و لا هي أرواح اتسعت عيناي مما رأيت رغم أن عقلي فهم أن المعدات التي معهم معدات طبية لكنها غريبة لم أراها من قبل يبدو أنها متطورة جداً و المثير للدهشة لست الوحيدة المصدومة فهذه المخلوقات أيضاً كانوا مصدومين يبدوا عليهم الوقار و الحكمة بقينا ننظر لبعضنا بغرابة إلى أن تكلم أحدهم سألني من أنتِ نظرت له و كأني اعيد له السؤال ذاته دون أن اتكلم فقال أنتِ ترينا و تسمعينا ؟

- اجبت نعم من أنتم ؟

هنا زميلي لم يعد يحتمل و بدأ يعلو صوته من شدة خوفه علي هل جننت مع من تتكلمين لا يوجد أحد في هذا الممر لم آبه لصراخه و انتظرت الإجابة

- فقال أحدهم يبدو أنه كبيرهم نحن حكماء و جئنا للمساعدة

تبسمتُ و نظرت للحكيمة التي كانت تقف بجانبه ابتسمت لي هنا خطر لي خاطر

- قلت هل يمكنكم مساعدتي ؟
- تفضلي

أنا فلانة بنت فلانة و صمت قليلاً تجهمت وجوههم و احنوا رؤوسهم اكتسى الحزن ملامحهم و نظراتهم لا تزال متجهة للأرض

- قال كبيرهم أعانكِ الله على ما ابتلاكِ

فهمت أنهم عرفوني مثلما أنا عرفتهم صحيح أنه لم يسبق لي رؤيتهم لكني كنت أسمع ما يروى عنهم و عن حكمتهم و عن الخير الذي يقومون به و كم من البشر ساعدوا

- دون أن أذكر نوع المساعدة كررت السؤال ألا تساعدوني ؟
- قال كبيرهم بصوت يشوبه الحزن و العجز حاولنا مساعدتكِ كثيراً
- أعرف

صدم من اجابتي هو و من معه

كررت نعم أعرف لكني لم أعرف سبب ابتلائي

- بعد تفكير أجابني إنه في بئر عميق عليه حارس شديد
- من الذي أذاني ؟

- دون أن يتكلم أكد لي شكوكي و هو يومئ برأسه أنها المرأة ذاتها
- إن ذهبت لها قاطعني بقوله
- هي بدأت لكنها لم تعرف كيف تكمل أو تنهي ما بدأته أو حتى تبطله فهي أصبحت عبدة لا سيدة كما ظنت أنها ستكون
- ارتسمت على وجهي نصف ابتسامة و قلت أعانني الله فهو المعين
- فسألتني باستغراب تلك التي تقف بجانبه هذه أنباء لا تحملها جبال كيف تبسمتِ بدل أن تحزني
- لما أحزن رب الذي أرسلكم لتنقذوا هؤلاء و أنا أشير بيدي للمصابين و أنتم لا تعرفونهم سيعييني

ربي لا يصعب عليه شيء إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون

أعرف أن كل شيء بميعاد و إني أشعر أن الموعد اقترب إن شاء الله و سينتهي هذا البلاء

- نطق أحدهم لا اعتقد انكِ ستتخلصين مما يؤذيكِ
- لا تقنط من رحمة الله

الجميع بصوت واحد لا إله إلا الله

اعتذرت لهم عن التأخير و أفسحت لهم المجال للدخول

رأيت الأطباء يقفون و ينظرون لي بشفقة يعتقدون أنني جننت لم انتبه لوجودهم من قبل

- تبسمت و قلت لهم هيا بنا لنذهب و نستريح
- اجاب أحدهم و هؤلاء المصابين من سيعالج جراحهم
- ألم تقل منذ قليل في الاجتماع أننا عملنا ما بوسعنا و الباقي على الله لا نستطيع أن نفعل أكثر

- بلى
- إذاً هيا بنا نرتاح و نعود لنطمئن عليهم بعد قليل ذهبنا جميعاً و جلسنا في غرفة الإدارة عندها استطاع احدهم أن يجلب لنا بعض الطعام تناولناه و شربنا الشاي شعرت بعدها أن رأسي يكاد ينفجر من الألم لا أعرف كم من الوقت مضى دون أن اتناول لقمة تعينني على مقاومة التعب

بعد قليل جاء أحد الحكماء و طلب وحدة دم لمريض في الطابق العلوي انتفضت من مكاني فسألني الجميع ما بكِ ؟

استوعبت أن أحد لم يرى أو يسمع الحكيم غيري لذا طلبت من أحد الأطباء أن يتفقد المريض في الطابق العلوي و يعلمني إن احتاج وحدة دم

بالفعل ما هي إلا دقائق و أرسل في طلب وحدة دم و بالفعل كنت قد بدأت بتجهيزها

- سألوني كيف عرفتِ بأن المريض بحاجة للدم
- احساس
- لم تقنعهم الإجابة و قال أحدهم لقد جننت حقاً
- ضحكت و قلت نعم جننت و أود إعلامكم بأن المصابين أغلبهم سينجون من الموت إن شاء الله على عكس توقعاتكم

ذهبوا و تركوني لوحدي أخرجت الأوراق من جيبي و أنا أفكر فيما يجب عليّ فعله حدسي يخبرني أن أتأنى لذا استأذنت و ذهبت للمنزل كي ارتاح و ليطمئن والداي

وصلت للمنزل و الجميع حمدوا الله على سلامتي لم اتكلم كثيراً قادتني قدامي للسرير ثم نمت بعمق لساعت طويلة

استيقظت في صباح اليوم التالي بينما أعد قهوتي كنت أفكر بتلك الأرواح و وصاياها فكرت كثيراً لم استطع أن اتخذ قرار لذا عدت للمشفى و سألت عن أحوالهم

الجميع في غيبوبة

جاءني الرد الذي يجعلني أغوص في بحور الحيرة أكثر فأكثر ماذا عساي أن أفعل أسأل نفسي هذا السؤال و أنا أجر نفسي بالقوة لأخرج أمشي بخطوات متثاقلة بطيئة أحدث نفسي الكثير من الأسئلة تدور في رأسي حقاً إنها تدور أشعر بالدوار من كثرة التفكير فالأمر برمته غير منطقي

هل أعود للمنزل ؟

أيجب أن انسى الموضوع فالأمر كله لا يصدق ؟

أيجب أن أوصل الوصية لأهلها فهي أمانة ؟

إن ذهبت لأهلهم ماذا أقول أرواحهم أخبرتني ؟

من ذا الذي يصدق كلامي سيتهمونني بالجنون لا محالة

معهم حق لو أنني مكانهم سأفعل الأمر ذاته

كيف أتصرف ؟

أيعقل أنني تهيأت و لا وجود لهذه الاسماء التي دونتها

وقفت للحظة و أنا أشعر أنني فقدت عقلي

أمس أتهموني بالجنون و اليوم أنا أتهم نفسي به و إن ذهبت لأهالي المصابين سيقولون مجنونة أيضاً

رباه أعنّي و أرشدني للصواب

يجب أن أهدأ و أرتب أفكاري لست مجنونة و لا أعتقد أنني تهيأت أسماء أشخاص و عناوينهم و قصصهم لذا يجب أن أرتب أفكاري

أولاً يجب أن أثبت لنفسي أنني لم أكن أتهيأ عليّ الذهاب لأحد العناوين و أسأل عن الاسم

إن وجدت أن له صاحب فالقصة التي رواها صاحب الاسم حقيقية أخرجت الأوراق من جيبي و بدأت أعيد قراءتها لأرى بمن سأبدأ أخترت الجندي الأول على الأقل لن أتسبب لأحد بمشكلة لأنه فقط يريد أن يدفن بجانب أمه

ثانياً لن أخبر أحد بالحقيقة كي لا يتهموني بالجنون

ثالثاً سأعطي الورقة التي كتبت بها الوصية لمن يهمه الأمر و كأن صاحب الوصية كتبها و ما أنا إلا صلة وصل بينه و بين أهله

نعم هذا ما سأفعله

بدأت السير بخطوات متسارعة أسابق الزمن كي أصل للعنوان أريد أن أعرف إن كنت أتهيأ أو لا

ما أصعب أن يشك المرء بنفسه

إنها حالة من التيه

لا أتمناها لعدو

وصلت للعنوان نظرت حولي رأيت بقالية اتجهت نحوها و سألت البائع عن جيرانه بحجة أنني من مكتب الإحصاء بهدف الوصول لمنزل والد الجندي الأول

بالفعل أعطاني خمس أسماء و سادسهم الاسم المطلوب و هو يشير بيده لباب المنزل غمرتني الفرحة و تنهدت براحة لأنني لم أكن أهذي كل ما رأيته كان حقيقياً

طلبت ورقة و قلم و كتبت

والدي العزيز أنا الآن بين الحياة و الموت و لا أعرف مصيري إن وصلتك رسالتي هذه ادعي لي و إن سمعت بخبر استشهادي أتمنى أن أدفن بجانب والدتي

اشتقت لها كثيراً

دون أن أتكلم خرجت من البقالية ناداني صاحبها و هو ينظر لي نظرات كلها شك و قال أين دفترك الذي تدونين به المعلومات

صمت للحظة لكن سرعان ما خطرت لي فكرة و قلت

عمي نحن في عصر التكنلوجيا سأدون كل شيء على برنامج مخصص على الجوال

أومأ برأسه أنه قد فهم

ثم أكملت طريقي متجهة نحو باب منزل والد الجندي طرقت الباب و فتحه رب الأسرة

- هذا منزل فلان و قد بدا الفقر جلياً في مظهره و مظهر بيته المتهالك الغير صالح للسكن
- نعم تفضلي و هو ينظر لي باستغراب كيف لفتاة أن تسأل عن شاب
- حملت الورقة و أعطيتها لوالده قرأها و بدا الحزن على وجهه أكملت إن ابنك مصاب بطلق ناري و هو الآن في غيبوبة
- قال و الحزن واضح على نبرة صوته إنه يلوم نفسه بسبب وفاة والدته

و الحق أنا الملام في كل الأحوال

كنت دائم الصراخ أريد منه أن يعمل و يعنني في مصاريف المنزل فهو ابني البكر و لديه خمسة أخوة لم أكن أصدقه أنه لا يجد عمل

تارة يعمل في البناء و صاحب العمل لم يعطه حقه

و تارة كان يعمل حارس طوال الليل ليأتي آخر الشهر براتب لا يكفي حتى أجار المنزل يخبرني أنه عمل كل ما بوسعه و أنا ألومه بالتقصير

عندها قرر أن يلتحق بالجيش فالراتب كان جيداً كنت قلقاً عليه لكني لم أمانع لم تتحمل أمه غيابه ماتت قهراً على ولدها

و ها أنا الآن فقدت زوجتي و ابني معاً في عام واحد

بدأ يجهش بالبكاء و يقول إنه صغير لم يتجاوز العشرين كنت أتمنى أن أراه عريس و أرى أحفادي يلعبون حولي ذهب و ترك خواته البنات دون سند

- بدأت بالبكاء معه و أنا أحاول أن أهون عليه و أقول له لم يمت بعد إنه في غيبوبة لندعو له بالشفاء

تركته و مضيت قلبي لم يعد يحتمل كل هذا الحزن بكاؤه يقطع نياط القلب

بعد قليل من الوقت حاولت أن استجمع شجاعتي و أذهب للعنوان التالي في طريقي رأيت مكتبة اشتريت دفتر و قلم خرجت منها و جلست على الرصيف لأكتب الوصية الثانية كانت للجندي الثاني كتبت كل ما أخبرني به و ذهبت للعنوان

وصلت و رأيت فتاة تقف عند باب المنزل و كأنها تترقب عودة أحدهم ألقيت التحية و طلبت أن أقابل فلانة

- بكل استغراب قالت أنا فلانة من أنتِ ؟
- أعطيتها الورقة خاصتها و انتظرت أن تنتهي من قراءتها
- رفعت رأسها و سألت بصدمة مات ؟

- لا إنه في غيبوبة ادعي له بالشفاء لقد أصيب بطلق ناري و لم يتذكر أحد غيرك أوصى أن تصلك هذه الرسالة
- عشقنا بعضنا منذ الصغر و لم يشأ القدر أن يجمعنا

كانت ظروفه صعبة تطوع في الجيش منذ بضعة أشهر كي يحسن وضعه المالي و يستطيع أن يوفر المهر و تكاليف الزفاف

قلت له قبل أن يتطوع لا أريد شيئاً أريدك أن تبقى هنا بجانبي و بخير هو جارنا لكنه قال

أريدك في منزلي لتكوني سيدته و أميرتي

بدأت تبكي بحرقة

مرت علاقتنا بأوقات صعبة تارةً حين كان والده يريد أن يخطب له أبنة عمه

و تارة حين طلب يدي أحد أقاربي

و تارة أخرى حين تطوع في الجيش

لكن أصعب وقت هذا فهو بين الحياة و الموت

لا لن أتزوج غيره إن عاش أو مات

لن يكون لدي أطفال هو ليس والدهم

أنا أيضاً أحبه بصدق هو حبي الأول حب الطفولة و المراهقة

و الشباب هو حب العمر

لا أريده شهيد أريده زوج

أي حياة هذه التي أحياها دونه ؟

هل سينجو بدأت تهزني بقوة تصرخ و تعيد الكلام هل سينجو

أخبريني ؟

- سالت دموعي على خداي و أنا أقول سيكون بخير إن شاء الله

عليك الدعاء له بالشفاء

مضيت و دموعي ترافقني فالحرب دمرت كل شيء

دمرت المنازل و أزهقت الأرواح ويتمت الأطفال و كسرت قلوب

لا بل أحرقت القلوب و أحالتها رماداً

فالقلوب في الحروب مثل المنازل تدمر و تحرق و ما صمد منها

تهالك

في أي لحظة سينهار

يا له من يوم عصيب حاولت أن أمسح دموعي و أكمل ما بدأته

جلست مجدداً على الرصيف و كتبت الوصية الثالثة التي كانت

للزوج الذي سرق ذهب زوجته ليتزوج به الثانية

فكرت للحظة ماذا سأكتب لها

مصيبتها كبيرة إنه ليس ذنب لتسامحه

السماح كلمة صغيرة أمام ما فعله إن صح القول يجب أن يطلب منها الغفران

أكملت طريقي حين وصلت رأيت طفلة جميلة تربي أطفال

فتاة صغيرة لا يتجاوز عمرها السادسة عشر و لديها طفلان

وقفت متسمرة مكاني مثل هذه الطفلة هل تعرف الزواج و مسؤولياته ؟

هل تعرف كيف تدير منزلاً ؟

هل تعرف كيف تربي أطفالاً و لديها اثنان ؟

أردت أن أسأل عن والدها و والدتها لأسألهم كيف زوجوا ابنتهم القاصر ؟

أي قلب يحملون في صدورهم سمح لهم بارتكاب جريمة بشعة كهذه في حق ابنتهم فلذة كبدهم ؟

كم كان عمرها حين زوّجوها ؟

أراهن أنهم قد باعوها و قبضوا ثمنها

لعنت الحرب و الفقر معاً

عن أي زواج ثاني يبحث زوجها و زوجته جميلة و صغيرة ؟

أردت أن أبدأ الحديث و لم أعرف كيف أبدأ تنحنحت و قلت مرحباً مع ابتسامة أبى الحزن و الصدمة أن يرسماها على شفتي و لو كذباً

- أهلاً
- أطفالك أم أخوتك و أنا أشير بيدي تجاههم ؟
- إنهم أطفالي

- لا يبدو أنكِ متزوجة أين زوجك ؟

- في الحرب

- لا بد أنكِ تنتظرين عودته بفارغ الصبر

- صمتت دقيقة و كأنها لا تجد ما تقوله ثم قالت نعم رغماً عنها

- أشعر أنكِ حزينة

- نعم أجد صعوبة في تربية أطفالي كل ليلة أجلس بجانبهم هم يبكون و أبكي معهم هم يريدون والدتهم التي لا تعرف كيف تتعامل معهم و والدهم الذي وجوده يشبه غيابه

أما أنا أبكي حالي زوجوني طفلة كنت ألعب مع رفاقي في الزقاق و نحن فرحين بعودة المدرسة التي حرمت منها

لأجد نفسي في بيت زوجي وحيدة بعيدة عن أهلي

يضربني باستمرار لأتفه سبب و دون سبب

أخاف منه أريد أن أهرب و أختبئ في حضن أمي التي أتذكر كيف سلمتني له فأكرهها

أتعرفين ماذا يعني شعور الطفلة بالكره ؟

يعني أنها عبرت مرحلة الشباب من طفلة أصبحت كهلة مرة واحدة دون أن تعي ما يدور حولها

زواجي منه كان اغتصاب مشروع باركه والداي

و يا ليته كان زوجاً إنه كبير في العمر لكنه مراهق دائماً كان يكلم الفتيات أمامي من فتاة لأخرى إلى أن قرر الزواج أخذ الذهب الذي أغرى والداي به ليتزوج الثانية

و أنا لا أجد ما أطعم أولادي لولا الجيران الذين يحنّ قلبهم على أطفالي كنا هلكنا من الجوع

- هربت الكلمات لا أجد ما أواسيها به خنقتني العبرة لكني أحاول أن لا أظهر شيء احتراماً لها و لمشاعرها

أعرف أن الشفقة صعبة و نظراتها تقتل

لذا حاولت التماسك أمامها مددت يدي و أعطيتها الورقة التي تعرف محتواها عدا الاعتذار لا أظنها تعرف أنه يريد أن تسامحه

- تبسمت ابتسامة يائسة و قالت لي لا تصدقي
- لقد أصيب بطلق ناري و هو الآن في غيبوبة
- لا تصدقي أنه يعتذر إن نجا من الموت سيعود لما كان عليه و سيتزوج الثانية

لقد ظلمني كثيراً و سيبقى يظلمني طوال حياته لكني سأدعو له بالشفاء من أجل أطفاله عسى أن يلين قلبه القاسي عليهم بعد ما رأى الموت بعينه

احاول أن أبدو قوية لدرجة أنني استمد منها القوة و لا أدري أهي قوية أم يائسة

حالها غريب لدرجة أن الحجر يبكي قهراً على حالها

ماذا أقول و أي كلمات هذه التي تواسيها لذا ودعتها و مضيت شاردة الذهن أفكر بحالها و بالظلم الذي تعرضت له كم من فتاة غيرها عانت ما عانته فزواج القاصرات من أبشع الجرائم حاله حال الوأد على الأقل الموءودة تنتهي حياتها قبل أن تبدأ لكن القاصر تبقى مظلومة حين لم تلقى حنان من أهلها

و حين تُظلم في بيت زوجها و تُسرق طفولتها

و حين تجد نفسها مسؤولة عن أطفال لا تعرف كيف تربيهم

أتكون قاسية كأهلها و زوجها أم حنونة ؟

من أين لها بالحنيّة و هي لم ترى غير القسوة ؟

فاقد الشيء لا يعطيه حتى و إن أراد

و حين و حين و حين . . . . . .

آه و ألف آه

أكملت طريقي ذاهبة لبيت الرابع ذاك الطالب الذي أصيب برصاص طائش عندما وصلت رأيت باب المنزل مفتوح و نساء كثيرات بجانب أمه التي كانت تبكي خوفاً على ولدها الغائب لا تعرف لا عنه شيئاً لأيام عندها شعرت بصعوبة مهمتي التي أقوم بها

دخلت و وقفت أمامها انتبهت لي أعطيتها الورقة قرأتها و بدأت تصرخ بعلو صوتها لاااااااااا

ثم فقدت الوعي

الجميع ينظرون لي باستغراب و نظراتهم تسأل قبل ألسنتهم

جاء والده و أخذ الورقة قرأها و عيونه تود السؤال الذي أبى لسانه أن ينطق به تداركت الأمر و قلت له

أصابته رصاصة طائشة و هو الآن في غيبوبة

تنهد براحة على أمل أن يشفى ابنه و حمد الله أنه لا يزال على قيد الحياة

بدأ صراخ أمه بعد أن استعادت وعيها و هي تلطم على وجهها

- لم يكن يريد الذهاب أرسلته رغماً عنه

بعد أن غادر المنزل شعرت بقلبي ينقبض عند سماع صوت الاشتباك

كأني شعرت حين اخترقت الرصاصة جسده لا إنها اخترقت قلبي أولاً

كنت فقط أريده أن يتعلم كنت أحارب الحرب بتعليم أولادي

لم أكن أريده جاهلاً

لكني الآن اتمنى أن يبقى جاهلاً بجانبي

كنت أقول له كن مثل فلان فهو ليس أفضل منك دخل كلية

الطب لكنه كان يريد الهندسة و أغضب منه

كن مهندساً و عد لي

أترى فلان كيف نجح بمعدل ممتاز قاطعها والده

- أحمدي الله أنه لا يزال على قيد الحياة عسى أن يشفيه الله و

يعيده لنا بالسلامة

- صمتت والدته للحظة ثم سألتني لم يمت ؟

- لا إنه في غيبوبة ادعي له بالشفاء فهو بحاجة لدعواتكِ

- هدأت قليلاً ثم شكرتني

- العفو

خرجت من منزلهم كالعادة دموعي غسلت وجهي حاولت أن أكمل طريقي لكني رأيت هذه المرة أن الوصية هذه خطيرة حقاً

يجب أن أفكر و أتصرف بشكل جيد كي لا أسبب مشكلة

حان دور الوصية الخامسة ذاك الجندي الذي أراد ابنة عمه وصلت للعنوان و أنا مرتبكة ماذا يجب أن أفعل رأيت منزلاً بابه مفتوح مجتمعين رجال و نساء و كأنه عزاء وقفت بالباب و قد انقطعت أنفاسي خوفاً مما حدث هل عرفوا بفعلته ؟

هل قتلوا الفتاة ؟

فالعادات و التقاليد تقتضي أن يذبح الأب أبته ليغسل عاره

هل هربت الفتاة ؟

هل كانت حامل و عرفوا ؟

أفكار كثيرة و أسئلة أكثر خيمت على عقلي

ماذا حدث للفتاة ؟

ما الذي يجري ؟

سألت العجوز بجانبي ما الذي يجري ؟

و الصمت قد خيم على الجميع سمعني رجل انتبه لوجودي فأجاب

- لقد استشهد ابن أخي
- ماذا ؟ عرفت أنه عمه والد الفتاة
- أخبرنا صديقه منذ يومين كان يحارب معه أنه استشهد

طلب يد ابنتي الكبيرة و حين رفضته تطوع في الجيش

أنا السبب أنا السبب لم أكن أريد رفضه لكن رفضت تأديباً له لا أكثر

كنت أريده أن يصبح رجلاً يُعتَمد عليه يكسب رزقه بعرق جبينه

توفي والده و تركه أمانة لي أحببته كأنه أبني الذي لم أنجبه

لم أتخيل أن يتطوع و تنتهي حياته باستشهاده

- رأيتموه ؟
- لا
- على حد علمي أنه أصيب بطلق ناري و هو الأن في غيبوبة لم يستشهد بعد

تغيرت ملامح الجميع و بدا الأمل واضح على محياهم إلا واحدة كان الأمل لديها ممزوج بالغيرة ثم قالت

- كيف عرفتِ ؟

- أعمل بالمشفى و قبل أن يدخل في غيبوبة طلب مني أن آتي إلى هنا و أعطاني العنوان لأخبركم كي لا تقلقوا

بدت الراحة على الفتاة عرفتُ أنها المقصودة

شكرني الجميع عندها طلبت من الفتاة أن تصحبني أريد دخول الحمام

عندما اختفينا عن الأعين أعطيتها الرسالة قرأتها و هي لا تعرف أتفرح أم تحزن تبسمت في وجهها بحب و قلت لها

- ادعي له بالشفاء و أن يعود لكِ بالسلامة و لا تنسي سأكون أول المدعوين على حفل زفافكم لقد أخذنا الموافقة من والدكِ
- تبسمت بخجل و قالت إن شاء الله أشكركِ ألف ألف مرة

لقد كنت أنوي الانتحار بعد سماع خبر استشهاده

اسودت الدنيا في وجهي و لا أعرف كيف سأصارح عائلتي

- الذي جرى لم يكن يجب أن يجري لأنه حرام شرعاً
- أعرف استغفرت ربي كثيراً

كان عزائي أنني ابنة عمه و أنه لن يتركني

لم نكن نحسب حساب يوم كهذا

- عسى أن يعود لكِ سالماً إن شاء الله

خرجت و أنا أحدث نفسي كيف للموت أن يدمر أحلاماً كثيرة

لكنه لا يستطيع تدمير الذكريات

بل يصب الزيت على نارها لتشتعل

كل ما حاول النسيان أن يخمد لهيبها

و كيف للموت أن يشفي قلب عاشق

من الشوق الذي لا ينتهي مهما طال

فهو من غير أمل للقاء

الموت و الفضيحة في إحدى كفتي ميزان القدر

و في الكفة الأخرى الحياة و الدعاء و الاستغفار

العلم عند الله أي الكفتين تحمل مستقبلهما القريب

وصلت لمنزل الأخ الذي أحتال عليه أخاه طرقت الباب فتح طفل صغير عندما سألت عن فلان قال بابا ضيوف و رأيت الحال نفسه في أغلب المنازل الفقر قد نال منهم

- أهلا تفضلي كانت عيناه محمرة
- لا أدري هل سمع خبر استشهاده مثل غيره أم هناك شيئاً أخر هذه الرسالة من أخيك
- أخي في الحرب و قد انقطعت أخباره عنا جزاكِ الله خيراً يا ابنتي كنت متلهف لسماع خبر عنه

فتح الورقة و قرأ محتواها و لم يكن للصدمة مكان و كأنه يعرف ما فعل به أخاه

كيف حاله أهو بخير ؟

- لقد أصيب بطلق ناري و هو الآن في غيبوبة
- شفاه الله و أعاده لبيته

لا حرم الله أطفالاً من والدهم

رغم أنه قد حُرم من ابنه تنهد و اكمل لقد توفي ابنه الصغير إثر حمة شديدة و لم تستطع والدته الذهاب للطبيب أثناء الاشتباك

توفي بعد ليالي حارب فيها الحمة لكنها هزمته

قالها و الدموع تفق في باب عيناه يحاول منعها من الخروج

كنت أعرف أنه زوّر وصية أبي و حرمني من الميراث

كنتُ في أشد الحاجة لكل مليم

أداوي أبنتي من مرض عضال لكن مع هذا كله لم أحقد عليه

يبقى أخي من لحمي و دمي

رغم أنه لم يكن سندي

لكن مشيئة الله نافذة شُفيت ابنتي الحمد الله بفضلٍ من الله و

أهل الخير في الوقت الذي كان يسرق حقي

يشهد الله أني لم أدعو عليه قلت له إن الحرام يُذهِب معه

الحلال استهزأ بكلامي و مضي و ها هو الآن فقد ابنه

اقسم بالله أني لم أشمت و لن يكون هذا حالي فقد عانيت بشكل

متواصل لمدة طويلة خوفاً من أن أفقد ابنتي لذا أعرف كم

يوجع الفقد و يقطع القلب

أعاده الله لبيته و زوجته و أطفاله سالماً من كل مكروه

مضيت و أنا بحالة غريبة أبعد كل هذا يحب أخاه و يتمنى له الخير

لقد ضرب أروع الأمثال في الحب و التسامح

يا إلهي كم مرّ عليه وقت صعب

أعانه الغريب و سرقه أخاه

و المشكلة مرض ابنته موقف يقهر و يهدّ الحيل حتى و إن كان جبلاً

أي أخ رائع هذا حفظه الله

طيبة قلبه و صبره يجب أن يكونان منهجاً يدرّس ليتعلم منه البشر

تذكرت ماذا عساي أن أفعل في آخر وصية إنها أسرار حربية

قررت أن أتجاهل وصيته مؤقتاً كي لا أضع نفسي في ورطة

خاصةً أنه لن يصدقني أحد و سيتهمونني بالجنون و الله أعلم أي تهم أخرى سيوجهون لي

سأكون في ورطة حقيقية إن استشهد

و سنكون أنا و هو في ورطة إن لم يستشهد حيث أنهم يعتروها خيانة

لا ضير في بعض الانتظار و التفكير

عدت للمنزل بعد يومٍ شاق جداً و بدأت اتذكر كل ما مرّ بي نظرت للدفتر بيدي الذي اشتريته من المكتبة و القلم بيدي الأخرى دون تفكير كتبت عليه **دروس الحياة** فتحته و بدأت أكتب

١-يجب أن أتأنى في قراراتي فهي لا تخصني وحدي

(و أنا أتذكر الجندي الذي ماتت أمه قهراً عليه)

٢-الصدق طريقه للقلب مباشر دون عقبات

ما بني على صدق أساسه قوي ثابت و راسخ

(هذا ما تعلمته من قصة عشق الفتاة و جارها)

و الأهم يجب أن أعرف من أختار لأمنحه هذا الصدق و

يبادلني إياه فالصدق كنز ثمين إن فرطت به

أدفع ثمنه جرح قلبي و عذاب روحي

٣-الظلم سواده يعمي صاحبه و يدمر حياته يجب أن أبتعد عنه

(حين تذكرت ظلم الزوج لزوجته و أطفاله)

٤-يجب أن أهتمّ بالأشخاص الذين أحبهم باعتدال

(كي لا أفعل مثل الأم التي أهتمّت بمستقبل ابنها أكثر من

حياته)

كي لا أندم حين لا يفيد الندم

٥-إن الحرام و فعل المعاصي ليس طريقاً سهلاً أو مضموناً

(كما أعتقد الجندي الذي أراد أبنة عمه)

من كرم الله على عباده و رحمته هو الستر يرتكبون المعاصي

و الكبائر و يسترهم فضلاً منه سبحانه و تعالى

٦- طيبة القلب تجد طريقاً لتعود لصاحبها

(كما فعل الأخ مع أخاه)

فعلاً إن الفرج آتي عقب الصبر

فالصبر عبادة جعل لها الله في الجنة باباً

تذكرت المثل الذي يقول (كل شيء دين حتى دمع العين

عندما دارت الأيام و شفى الله ابنته فقد أخاه أبنه)

٧-من نِعم الله علينا الأخوة فهم سند و عزوة

في صباح اليوم التالي ذهبت لعملي و أنا أشعر براحة و أمل لا أدري ما مصدرهما حين وصلت سمعت أن الجميع تخطوا مرحلة

الخطر عدا السابعة و الثامن و التاسع فهم فقدوا حياتهم إثر جرعة مخدرات كبيرة و المشكلة أن الفتاة كانت حامل

حامل ؟

أجابني زميلي نعم للأسف هناك من ضيّع جيل كامل بسبب المخدرات و أولهم المدرسة التي لا تبعد عن المشفى سوى خمسين متراً فقط

جعلهم كلهم بنات و شباب مدمنين ليحقق أهدافه

الإتجار بالمخدرات

و الدعارة

وعصابة جديدة من المدمنين كلها شباب في مقتبل العمر

تسرق و تقتل في سبيل جرعة صغيرة من المخدرات

يتحكمون بهم لينفذوا ما يُطلب منهم من جرائم

حيث أن الفتيات بعد أن يدمنّ

حالهم حال الشباب سيفعلون أي شيء في مقابل جرعة مخدرات

لذا سيصبح من السهل توظيفهم في شبكات دعارة يديرونها و تعود لهم بمردود مادي كبير مثلها مثل تجارة السلاح

نالت مني الصدمة مجدداً

لقد ضاع جيل كامل و ما يقهرني أنه ضاع في المدارس

المكان الذي يجب أن يتعلموا فيه الأدب و العلم

أجاب زميلي نعم ضعاف النفوس و عبدة المال فعلوا كل هذا في سبيل مصالحهم الشخصية دون أن يرف لهم جفن

مات الضمير ما الذي نرجوه من أشخاص لا مبادئ لديهم و لا أخلاق وحوش في هيئة بشر

هذه هي الحروب تنتشر عصابات متخصصة فيها

ألم تسمعي عن تجارة الأعضاء و كم المفقودين ليس لهم أثر بسبب هذه التجارة القذرة

بعد أن قضيت ما يقارب ساعة و أنا أحاول استيعاب ما حدث تذكرت الجندي العاشر حمدت الله في سري أني لم أتصرف و أنقل وصيته الخطيرة

كنت على يقين أنهم سينجو من الموت عندما رأيت الحكماء يدخلون أرسلهم الله ليعينوا المصابين

قررت أن أدخل الغرفة و أراقب وجوههم هل سيتذكرون وصاياهم و يتذكروني

أم أنهم لن يتذكروا شيئاً

دخلت و رأيت أنهم لم يتذكروا شيء توقعت ذلك ذهبت للجندي الأول

- كيف حالك اليوم ؟
- الحمد لله أفضل أشعر أنني أعرفكِ ؟
- تبسمت و لم أشأ أن أجعله قلقاً أو خائفاً فأنا أعرف أن الحالة النفسية الجيدة تفيد المريض في العلاج

قلت له نعم

رأيتني عندما جاؤوا بك المسعفين إلى هنا و قلت لي أنك تريد أن توصيني وصية

صمت للحظة كي أنتقي كلماتي

ذهبت لمنزلك مثلما طلبت و رأيت حب أبيك و لهفته عليك و شعرت بالغيرة من حب أخواتك لك

أنت تحظى بعائلة رائعة حافظ عليهم أنت سندهم مهما قست عليكم ظروف الحياة

لستم الوحيدين هذا حال أغلبنا

- غمرته الفرحة حين سمع كلامي و كأنّ روحة عادت لجسده للتو ثم قال أنا أحبهم أيضاً

ذهبت نحو الجندي الثاني و هو ينظر لي في حيرةٍ من أمره أيعرفني بادرت بالسؤال

- كيف حالك اليوم ؟
- الحمد لله
- كن بخير فهناك من تنتظر عودتك لها

تأبى الزواج من غيرك لا تريد أطفالاً أنت لست والدهم

- كيف عرفتِ ؟
- أنت من أخبرني عن اسمها و طلبت مني الذهاب لها كي أطلب منها إن تزوجت تسمي ابنها على اسمك لكنها أبت الزواج إما أنت أو لا أحد غيرك

حالها يصعب على الكافر حاول أن تكلمها كي يطمئن قلبها

- تبسم بخجل و قال كلمتها
- حسناً فعلت

أكملت طريقي نحو الزوج و الغضب يملأ قلبي لا أعرف كيف سأكلمه بعد كل ما فعله بزوجته

- كيف حالك ؟
- الحمد لله

- لقد نجيت من الموت بحسنة أطفالك على ما أظن ابنتك الكبيرة و طفلين رضيعين صحيح ؟
- إنها ليست ابنتي هي زوجتي
- إنها صغيرة و جميلة كيف استطعت أن تظلمها
- من قال إني ظلمتها
- قلت في سري (يا لك من وقح) أنت قلت لي حين كنت أسحب عينة دم لك و قلت أيضاً أنك تريد منها السماح لأنك سرقت ذهبها للتزوج غيرها
- نعم سأتزوج الثانية و ألحقها بالثالثة و الرابعة
- نظرت له باحتقار و لم أتكلم لكني عرفت أن زوجته المسكينة لا نجاة لها منه و من ظلمه لذا لم أناقشه صدق من قال لا تناقش جاهل فالناس لا يعرف أيكم الجاهل

ذهبت إلى الجندي المتيم بابنة عمه و سألته عن حاله ؟

- الحمد لله
- الحمد لله على سلامتك و مبارك عليك الخطوبة ؟
- أي خطوبة ؟
- ابنة عمك
- كيف ؟
- لقد أوصيتني أن أذهب لها قبل أن تفقد وعيك بالفعل ذهبت و رأيت عمك الذي يحبك جداً قال لي أنك طلبت يد ابنته و هو موافق لكنه أراد أن تعتمد على نفسك و تتحمل المسؤولية لذا قسى عليك و رفض لكنه في الحقيقة موافق و إن عدت له سالماً سيزوجك ابنته

شعرت أنه ندم على ما فعل دون أن يتكلم

- بصعوبة قال بارك الله بكِ
- إنها تحبك جداً لا تخيب أملها بك
- إن شاء الله

ذهبت متجهة نحو الجندي السادس و أنا أفكر هل أخبره بوفاة ابنه ثم قررت أن لا أخبره كي لا تسوء حالته

- كيف حالك اليوم ؟
- الحمد لله
- عندما جئت أوصيتني أن أذهب لأخيك كي يسامحك قبل أن تفقد وعيك
- هل ذهبتِ ؟
- نعم
- ليتكِ لم تذهبي

- لماذا ؟
- لابد أنها كانت سكرة الموت ليس له حق عندي
- لقد قلت أنك زوّرت وصية والدك لتحرمه من الميراث
- قال و الكذب واضح على ملامحه لا لم أفعل هذا
- بجميع الأحوال اخاك سامحك و لا يحمل لك الضغينة حتى ابنته المريضة شفاها الله
- لم تكن مرضة كان يقول هذا كي أعطيه مالاً
- لا كانت مرضة بمرضٍ عضال ساعده أهل الخير و بفضلٍ من الله شفيت

طيبة قلبه رائعة أنصحك أن لا تخسره فهو سندك

- أنتِ لا تعرفين شيئاً
- و لا أريد أن أعرف كل ما أعرفه في الموت و المرض تتنحى الخلافات جانباً بين الأهل لا يوجد شماتة أو كذب بهما

ذهبت قبل أن أترك له مجال ليتكلم فقد ضرب أخاه أجمل أمثال الأخوة في حين أنه لا يزال على فراش الموت و الطمع يملأ قلبه

اتجهت نحو الجندي العاشر لأرى هل سيذكر ما قاله لي

- مرحباً كيف حالك ؟
- الحمد لله

صمت و لم يعقب لذا فهمت أنه لا يذكر ما قاله حاله حال البقية لذا التزمت الصمت و مضيت

شعرت أن حملاً انزاح عن قلبي

عدت للمنزل بعد أن انهيت عملي و جلست أكتب في دفتري

٨- الطمع طبع في البشر صدق من قال (إن الطبع يغلب التطبع)

٩- أكبر كذبة تواجهنا و قد نقنع أنفسنا بها أن يتغير طبع البشر

صدق من قال (إن الطبع بالبدن لا يتغير للكفن)

١٠- سِتر الله أكبر من خيال البشر فعلاً يجب أن لا تقنطوا

من رحمة الله

انتهت مهمتي و عاد كلٍ منهم لحياته

لم تنتهي الحرب ستدمر ما تبقى

و كأنها أقسمت أنها لن تترك قشة أو منزل أو قلب دون أن تحرقهم

ألا تكفي كل هذه الدموع الي ذرفت لتطفئ نار الحرب ؟

لن تنتهي الخلافات و طبع البشر يرافقهم

الكاتبة أماني سليمان

سوريا محافظة الحسكة مدينة القامشلي

من مواليد ١٩٨٨/٨/٢

درست في كلية العلوم قسم كيمياء

أول مؤلفاتها كتاب خواطر بعنوان همسات النسمات

الثاني كتاب خواطر بعنوان صدى الأفكار

الثالث رواية بعنوان يُضمّدها الأمل

الرابع كتاب خواطر بعنوان عندما تتحدث الروح

الخامس رواية بعنوان أرواح تتأرجح على كفوف السحر

السادس كتاب خواطر بعنوان يا حزني السعيد

السابع رواية بعنوان قبل أن يراها

الثامن قصة بعنوان و كانت الصدمة

التاسع رواية بعنوان ترتيب القدر

العاشر مسرحية بعنوان النبوءة

الحادي عشر كتاب خواطر بعنوان كِلانا يبحث عني

الثاني عشر رواية حين تكلم الموت

آراء بعض القرّاء

(١)

أشكر الكاتبة على هذه الرواية الجميلة و السرد البسيط و السهل

فقد سلطت الضوء على الواقع بكل تفاصيله على الرغم من أنها

أوجزت البعض و فصلت البعض الآخر عبر خيال شيّق

بينما كنت أقرأ كنت أنا الأب و العم .....الخ

حيث أنها استطاعت وصف المشاعر الانسانية بشكل رائع

طرحت مشكلة زواج القاصرات و كما قالت بالفعل

(اغتصاب مشروع يباركه الأهل و المجتمع)

و تطرقت لمشاكل و طيش الشباب

لم تنسى الحب الصادق الذي يفتقده مجتمعنا

(٢)

هذه الرواية ليست (رواية تسلية) بل هي صوت جيل كامل

ربما لا تبحث الكاتبة عن قرّاء كثر بل عن قارئ واحد يفهم

هذا في نظري أنبل أنواع الكتابة

(٣)

كل وصية أو روح تمثل شريحة اجتماعية و كلها مرتبطة بألم

مشترك فقد الوطن و الكرامة و الهوية

(٤)

تجسد الرواية أكثر من بعد : الألم و النجاة و الرسائل التي أرادت الأرواح إيصالها و النهاية مفتوحة للحياة و الموت

(٥)

و كأن الوعي بالألم وحده هو ما تبقى لنا و هو ما يجعلنا نحمل المعنى حتى و نحن ننهار

(٦)

العنوان يستحضر فكرة (الموت الناطق) و كأن الأرواح في هذه الرواية وجهت خطاباً فلسفياً للعالم

(٧)

هذه الرواية تجمع بين البعد الروحي و الفلسفي و الواقعي تترك أثراً غريباً في القارئ

(٨)

رواية صادقة جارحة انسانية بامتياز تحمل صوتاً حقيقياً لجيل مسحوق عاش في فوضى لا ترحم

(٩)

كل سطر في هذه الرواية كتب بوجع حقيقي

لم تحاول الكاتبة تجميل الحرب بل قدمتها كما هي متعفنة قاسية رمادية دون جدوى

(١٠)

حوار الكاتبة مع الأرواح نقلة ذكية و فلسفية أضفت بعداً روحانياً للرواية تجعل القارئ يتأمل

هل كل من يموت يرحل فعلاً ؟ أم يبقى له شيء ليقوله ؟

(١١)

الرواية لا تقدم حبكة تقليدية بل تشبه دفتر مذكرات أو شهادة على عصر هذا يعطيها قوة وثائقية عاطفية لا توجد في الكثير من الأعمال الروائية